جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الانسانية .

قسم التاريخ .

الدراسات العليا : الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

مادة : السيرة النبوية .

عنوان المحاضرة : رحلة الطائف

استاذ المادة : أ. م.د . حسين اعبيد الجبوري

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة الطائف .

تعد رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف واحدة من المحطات المهمة في السيرة النبوية الشريفة التي تناولها المحدثون والمؤرخون على حدٍ سواء وكانت لهم فيها أراء وروايات سيجري البحث في جانب منها ، ففي هذا السياق روى عروة بن الزبير ما نصه : ((ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجوا ان يؤوه ، وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم أخوةٌ ، عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه ، فقال أحدهم أنا اسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط ، وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً ، لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك ، وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ، وافشوا ذلك في ثقيف واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على الطريق فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله أو يضعها إلا رضخوها بالحجارة ، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون ، فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء ، عمد إلى حائط كرومهم فأتى ظل حلبة من الكروم فجلس في أصلها ، مكروباً وموجوعاً تسيل قدماه الدماء، فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله وبه الذي به ، فأرسلا إليه غلامهما عداس بعنب ، وهو نصراني من أهل نينوى ... [إلى آخر الخبر])) [1] ، وعداس هذا أورد الواقدي له موقف آخر يؤيد حدوث موقفه هذا في الطائف مع رسول الله ﷺ لما جلب له عنب ، قال : ((وأخرج عتبة وشيبة دروعاً لهما ، ونظر إليهما عداس وهما يصلحان دروعهما وآلة حربهما ، فقال : ما تريدان ؟ قالا: ألم تر إلى الرجل الذي أرسلناك إليه بالعنب في كرمنا بالطائف ؟ قال : نعم ، قالا : نخرج فنقاتله ، فبكى وقال : لا تخرجا فوالله أنه لنبي ، فأبيا فخرجا ، وخرج معهما فقتل ببدر معهما ... ويقال رجع عداس ولم يشهد بدراً ، ويقال شهد بدراً وقتل يومئذ، والقول الأول أثبت عندنا))[2] .

وتحدثت رواية ابن هشام الأولى فتذكر دخول رسول الله ﷺ مكة بعد رحلة الطائف بجوار رجل مشرك من قريش ، فلما أنصرف رسول الله ﷺ من الطائف ، ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، ذهب إلى حراء ، ومن هناك بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره ، فرفض بدعوى أنه حليف والحليف لا يجير ، ثم بعث إلى سهيل بن عمرو ، فرفض بدعوى أن بني عامر لا تجير على بني كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله ﷺ أن أدخل ، فدخل رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله [3].

أما روايته الثانية فهي موافقة لرواية عروة بن الزبير الأولى ، التي تذكر رحلته ﷺ إلى الطائف ، وما ردوا عليه بما يحزنه ، وموقف عتبة وشيبة إذ أرسلا له عنب مع غلام لهما يدعى

([1]) عروة بن الزبير ، مغازي رسول الله ، ص118.
([2]) الواقدي ، المغازي ، ص48-49 .
([3]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص151 .

عداس ، وذكر قول عداس لرسول الله ﷺ لما قال بسم الله وأكل ، والله ان هذا الكلام ما يقال في هذه البلاد ، فسأله رسول الله ﷺ عن بلده ودينه ، فقال : ((نصراني من أهل نينوى ، فلما حدثه رسول الله ﷺ عن يونس بن متي عليه السلام وقال له أنه نبي وانا نبي ، أكب عداس على قدمي رسول الله ﷺ ويديه ورأسه يقبلها ، فيقول : أحد ابني ربيعة لصاحبه، أما غلامك فقد أفسده عليك))[4] ، أما روايته الثالثة فتحدثت عن موقف الجن الذين استمعوا لرسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن عند عودته من الطائف ، فآمنوا وولوا إلى قومهم منذرين ، وقص الله تعالى خبرهم في سورة الجن [5].

وكان لرحلة الطائف موضوع البحث نصيب في روايات ابن سعد الذي قال : ((لما توفي أبو طالب تناولت قريش من رسول الله ﷺ واجترؤوا عليه فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليالي بقين من شوال سنة عشر من حين نبئ رسول الله ﷺ ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم ، إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد اخرج من بلدنا والحق بُمجابك من الأرض ، وأغروا به سفهائهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى ان رجلي رسول الله ﷺ لتدميان ... فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة)) [6] .

ووافق ابن أبي خيثمة من تقدم متحدثاً عن سبب رحلة الطائف التي كانت بعد وفاة أبي طالب إذ ذهب يلتمس المنعة من ثقيف ، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات[7] ، ولم يخالف البلاذري من جانبه في روايته ما تقدم في مضمون الرواية لكنه أضاف فيها ما نصه: ((آذته ثقيف واسمعوه وأغروا سفهائهم به ، وقالوا : كرهك أهل بلدك وقومك ولم يقبلوا منك فجئتنا ، فنحن والله أشد لك إباءً وعليك رداً ومنك وحشة ، فجلس ﷺ في ظل شجرة ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، يا رب المستضعفين ، إلى من تكلني ؟ وخرج رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة راجعين حين يئس من أهل الطائف، ووجه رسول الله ﷺ رجلاً من خزاعة لسهيل بن عمرو يسأله أن يدخل في جواره ، فأبى ثم إلى المطعم بن عدي فأجاره ... وكان خروج النبي ﷺ إلى الطائف لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ، وقدم مكة يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين خلت من ذي القعدة)) [8] .

وفي هذه الرواية قد خالف من سبقه في عدم ذكره إرسال رسول الله ﷺ إلى الاخنس بن شريق ليجيره فامتنع ، وخالفهم في ذكر المدة فبعضهم لم يذكر مدة إقامته في الطائف وبعضهم جعلها عشرة أيام في حين عدها البلاذري ستة وعشرين يوماً ، أما عن قوله قدم يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين خلت من ذي القعدة ، ففي التقويم هذا القول موافق لليلة الثاني والعشرين على الثالث والعشرين من ذي القعدة ، ومن ناحية أخرى موافق للعاشر من تموز[9] ، أي : أن قولهم جاءه عداس بشيء من عنب غير مستبعد فتموز موسم العنب .

([4]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص166-167 بتصرف .
([5]) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص168 .
([6]) ابن سعد ، الطبقات ، ج1 ص102 .
([7]) ابن أبي خيثمة ، التاريخ الكبير ، ج3 ص170 .
([8]) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج1 ص273.
([9]) حسين عبيد ، التوقيتات الزمنية ، ص404 .

أما اليعقوبي فكانت روايته موافقة لرواية عروة بن الزبير الأولى ومن أتفق معها ، إلا أنه زاد فيها أن عداساً أسلم[10] ، وهذا لم يذكره أحدٌ غيره ، بل يعارض ما أورده الواقدي من خروج عداس مع عتبة وشيبة يوم بدر(2هـ) وقُتل معهما ، أما الطبري فروايته الأولى موافقة لرواية عروة الأولى ورواية ابن هشام الثانية ، ووافق البلاذري في ذكره الدعاء[11] ، وروايته الثانية موافقة لرواية ابن هشام الثالثة ، في ذكره خبر استماع الجن لرسول الله ﷺ وإيمانهم به ، ودعوتهم قومهم إلى الإيمان بما آمنوا به [12] ، وروايته الثالثة موافقة لرواية ابن هشام الأولى ، التي تذكر دخول رسول الله ﷺ مكة بجوار المطعم بن عدي لما عاد من رحلة الطائف ، بعد أن امتنع الاخنس بن شريق ، وسهيل بن عمرو من اجارته [13].

وذكر أحد المؤرخين المحدثين أن رسول الله ﷺ لما انصرف مهموماً من الطائف وبلغ قرن الثعالب، جاءه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال عليه السلام ، وجعله رهن إشارته ، إذا أراد ان يطبق الأخشبين على أهل الطائف[14] ، يبدو ان الباحث قد وهم واختلط الأمر عليه ، فهو يناقض قوله الأول فيقول : ((والأخشبان جبلا مكة : أبو قبيس والذي يقابله)) [15] ، فإذا هما جبلا مكة كيف يطبقهما على الطائف ، وحصل اللبس عند الباحث لأنه استشهد بحديث البخاري ومسلم استشهاداً في غير محله ، حمل الحديث على أنه يخص أهل الطائف، والحديث يخص أهل مكة ، فالحديث الذي أورده البخاري ومسلم من رواية عروة عن عائشة ونقله الباحث يقول : ((إن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته : أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ...إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً)) [16] ، الرواية قطعية الدلالة تخص قوم عائشة وهم قوم رسول الله ﷺ والعقبة في مكة ، والإطباق المقصود بحق أهل مكة ، لكن الوهم وقع لتشابه الأسماء، فقول رسول الله ﷺ في هذه الرواية عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال و ابن عبد ياليل وانه رجل من قريش ، والروايات تقول في رحلة الطائف إلتقى بثلاثة أخوة زعماء ثقيف وهم : عبد ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فاسم عبد ياليل قاد إلى الوهم ، وهذا الباحث لم يكن أول من وهم في هذا الشأن فهناك من سبقه ، فقد حاول الحلبي حل هذا الإشكال وتبرير الوهم الذي وقع به بعضهم بقوله ((والمناسب لما سبق إسقاط لفظ ابن الأول والأتيان بواو العطف موضع ابن الثانية ، أي فيقال عبد ياليل وكلال ، أي وعبد كلال، ويكون خصهما بالذكر دون

([10]) اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ص24 .
([11]) الطبري ، تاريخ ، ص324 .
([12]) الطبري ، تاريخ ، ص324.
([13]) الطبري ، تاريخ ، ص324-325 .
([14]) مهدي رزق الله ، صفوة السيرة النبوية ، ص147 .
([15]) مهدي رزق الله ، صفوة السيرة النبوية ، ص147 .
([16]) البخاري ، صحيح البخاري ، ص577 حديث رقم (3231) ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ص511 حديث رقم (1795) ؛ مهدي رزق الله ، صفوة السيرة النبوية ، ص147 .

أخيهما حبيب لأنهما كانا أشرف وأعظم منه ، أو لأنهما كانا المجيبين له ﷺ بالقبيح دون حبيب ، إلا إن ثبت أن أباء هؤلاء الثلاثة شخصاً يقال له عبد ياليل وعبد كلال ، وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة ، لأن ابن مفرد مضاف ، ثم رأيته في النور ذكر ما يفيد أن لفظ ابن ثابت في الصحيح)) [17] ، مع أنه تكلف في لي النصوص لتوافق مذهبه في هذه المسألة إلا أنه لم يكن مقنعاً فيما ذكر ، ثم يعاود توجيه النصوص الوجهة التي يريد فيقول عن موضع قرن الثعالب الذي جاء ذكره في الحديث : ((أي ويقال له قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد الحجاز أو اليمن ، بينه وبين مكة يوم وليلة)) [18] ، وفي قول آخر عن الأخشبين ((أن ثقيف ليسوا بينهما ، بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم ؟ وفي لفظ إن شئت خسفت بهم الأرض أو دمدمت عليهم الجبال، أي التي بتلك الناحية)) [19] ونحن لسنا بصدد نقد روايات الحلبي في هذا الموضوع، وقد أورد قول ابن حجر الذي يؤيد ان قوم عائشة قريش فيقول : ((ثم رأيت الحافظ بن حجر، قال : المراد بقوم عائشة في قوله : لقد لقيت من قومك قريش : أي لا أهل الطائف الذين هم ثقيف ، لأنهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه ﷺ لثقيف ؛ ولأن ثقيف ليسوا قوم عائشة رضي الله تعالى عنها ، وعليه فلا إشكال ، ويوافقه قول الهدى : فأرسل ربه تبارك وتعالى إليه ﷺ ملك الجبال يستأمره أن يطبق على أهل مكة الأخشبين : وهما جبلاها التي هي بينهما)) [20] ، المهم أن أمر الوهم في هذا الحديث كان وارد عند السابقين وما نقاش الحلبي له إلا دليل على ذلك .

حمل رزق الله الرواية السابقة على أنها من باب الدعم المعنوي لرسول الله ﷺ ، ويقول أنه تلقى دعماً معنوياً ثانياً وهو في طريقه إلى مكة عند رجوعه من رحلة الطائف ، ويقصد استماع الجن له وإيمانهم به [21] ، لكن ما جاء في صحيح البخاري أن استماع الجن للقرآن كان عندما ذهب رسول الله ﷺ إلى عكاظ ليدعوا أهل الموسم ، وليس عند عودته من رحلة الطائف ، وقد تقدم الحديث عنه في مبحث دعوة القبائل .

وحمل أكرم العمري هو الآخر حمل حديث البخاري ومسلم على أنه يخص رحلة الطائف ، بل جعله الدليل على إثبات صحة وقوع رحلة الطائف ، ورأى أن دعواه ﷺ على أهل الطائف بقوله (اللهم إليك اشكوا ضعف قوتي ....إلخ) ولقاؤه بعداس فلم يثبت من طرق صحيحة [22].

وشكك العاملي فيما ذكر من دور لعداس ، وأكله ﷺ العنب المهدى إليه ، فهل من المعقول ان يكون عداس لم يسمع بذكره ﷺ ، ولا بدعوته هذه المدة كلها ، سواء مدة وجوده في الطائف ،

([17]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج1 ص502 ، وفي موضع سابق ذكر سادة ثقيف الذين التقى بهم رسول الله ﷺ في رحله الطائف فقال : ((وكانوا إخوة ثلاثة : أحدهم عبد ياليل ، أي اسمه كنانة لم يعرف له إسلام ، وأخوه مسعود أي وهو عبد كلال ...لم يعرف له إسلام أيضاً ، وحبيب ، قال الذهبي : في صحبته نظر ، أي وهم أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي)) السيرة الحلبية ، ج1 ص498-499 .

([18]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج1 ص503 .

([19]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج1 ص503 .

([20]) الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج1 ص503 ، وقد كان قول ابن حجر مختصراً فقد قال : ((حديث عائشة أنها" قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت: منهم " فذكر قصته بالطائف)) ابن حجر ، فتح الباري ، ج7 ص166 .

([21]) مهدي رزق الله ، صفوة السيرة النبوية ، ص148 .

([22]) العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج1 ص186 .

أو مدة دعوته إلى الله في المنطقة ، وقد تقدم ذكر الرواية التي تقول بذهاب أم المؤمنين خديج (رضي الله عنها) إلى عداس عند أول نزول الوحي لتسأله عما شاهد وسمع رسول الله ﷺ فأما رواية أول البعثة فيها وهم أو هذه الرواية فيها وهم في مسألة عدم علم عداس بنبوة محمد ﷺ بعد عشرة سنين من مبعثه ، ويشكك أيضاً في قصة الجوار فيقول ((كيف لم يعلم النبي ﷺ الذي بلغ من العمر خمسين عاماً ، ويعيش بين العرب طيلة هذه المدة: أنه ليس للحليف ان يجير على الصميم عندهم ؟ وأن بني عامر لا تجير على بني كعب ؟))[23] أما عن قضية إسلام الجن فهي ثابتة بنص القرآن الكريم ، لكنه يراها ليس في هذا الزمن بل حدثت في أوائل البعثة ، لأن الروايات تذكر أنه لما بعث ﷺ حيل بين الجن وبين استراق السمع في السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، وبحثوا في الأمر فوجدوا النبي ﷺ قد بعث ، فاستمعوا القرآن وآمنوا ، فنزلت الآية [24] ، وقوله في استماع الجن يوافق قول البخاري الذي أشرنا إليه قبل قليل .

([23]) العاملي ، الصحيح من سيرة النبي ، ج4 ص75-83 .

([24]) العاملي ، الصحيح من سيرة النبي ، ج4 ص75-83 .